

النظام الكتابي في اللغة العربية وسبل تطويره

د. ختام سعيد سلمان
جامعة بيرزيت - فلسطين

ملخص البحث:

للغة - أي لغة - صورتان، صورة منطوقة وهي الأسبق في الظهور، والأكثر انتشاراً واستخداماً، وأخرى مكتوبة تتجلى في تصوير اللغة المنطوقة بشكل يتيح للقارئ أن يعيد نطقها بشكل سليم، وأن يفهم المقصود دون لبس.

وأثبتت بعض الدراسات الحديثة أن متعلمي اللغات اليوم بحاجة إلى إتقان مهارة الكتابة أكثر من غيرها من مهارات اللغة، لأن مهارة الكتابة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمهارة القراءة التي أصبحت جزءاً أساسياً في حياتنا. وأنّ التقدّم في الكتابة يستدعي تقدماً في القراءة.

ولكلّ لغة في العالم نظامها الكتابي الخاص بها، ولكلّ نظام مزاياه ونواقصه، ولا يوجد شعب لا يشكو إن قليلاً أو كثيراً من مشاكل الكتابة في لغته، تتجلى في أوضح صورها في مسألة الرسم الإملائي، وهذا واضح - ضمن معرفتنا - بالإنجليزية والفرنسية، حتّى إنّ بعض الدارسين عدّ الرسم الإملائي في الإنجليزية كارثة وطنية. وبالطبع، هناك بعض المشاكل التي تواجه من يكتب بالحرف العربي، وسيقوم هذا البحث بتحديد هذه المشاكل، دون مبالغة في تقديرها، وتقديم اقتراحات معقولة تتيح لنا إعادة النظر في النظام الكتابي للغة العربية لتقييمه، ومعرفة ما له وما عليه، مع المحافظة على جوهر الكتابة العربية والحرف العربي.

مدخل: "اللغة العربية هي صنو الحصان العربي، زالت عنهما الحصانة، حينما أصبح النسر العربي جوّاب سفح، تطمع فيه بغاث الطير".
(محمد الباكير البرازي)

مقدمة: تعدّ اللغة العربية (بعيداً عن اللغة الانشائية المزركشة) من أقدم اللغات العالمية الحيّة، وهي لغة لها أصلاتها، وقدراتها التعبيرية، ويكفي العربية فخراً أنّ المولى - سبحانه وتعالى - اختارها لغة للقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة يوسف: ٢). وعمل على حفظ اللغة العربية، وضمن لها البقاء والخلود. وهي إلى جانب ذلك لغة الأمة العربية، وعامل أساسي من عوامل وحدتها وتكاتفها، وهي كما قال الشاعر: "لسان الضاد يجمعنا...". وفي الوقت الحاضر اعترف بها العالم، عندما أصبحت العربية إحدى اللغات الرسمية للأمم المتحدة، وتوالى هذا التقدير حين أعلنت اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة): أنّ يوم الثامن عشر من شهر كانون الأول هو اليوم العالمي للغة العربية، ويأتي هذا الإعلان استجابةً لتوصيات المؤتمر الدولي للغة العربية الذي عُقد في بيروت، آذار، 2011 م، تحت عنوان "العربية لغة عالمية، مسؤولية الفرد والمجتمع والدولة"، وكان من ضمن هذه

التوصيات المطالبة بتخصيص يومٍ عالمي للغة العربية. وبالمقارنة مع اللغات العالمية، فإنّ العربية تحتلّ مرتبة متقدّمة من حيث الانتشار، وذهب بعضهم إلى القول "إنّها تحتلّ المرتبة الخامسة بعد الصينية والإنجليزية والهندية والإسبانية" (1).

وبصرف النظر عن التصنيف الدقيق للعربية وترتيبها على سلم اللغات العالمي، فإنّ الواقع المعاش يُثبت أنّها موجودة بقوة، وشهدت، وما تزال تشهد إقبالاً على تعلّمها من غير أبنائها، لأسباب عديدة منها: الدينية والاقتصادية والسياسية والثقافية... ومع ذلك فإنّ هناك قلقاً متزايداً على مستقبل هذه اللغة، التي تعاني من مزاحمة اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية والترويج لها، لكونها كما يُقال - اللغة الأسهل والأكثر سلاسة - تساعد في ذلك وسائل الإعلام التي ترى في التغريب مظهراً من مظاهر التحضّر، وتدّعي أنّ هناك مشكلة في جوهر اللغة العربية تؤدّي إلى النفور منها، وتدعو إلى البحث عن لغة ثانية، أو لغة بديلة، والسؤال الآن: هل هناك - بالفعل - صعوبات في تعليم وتعلّم هذه اللغة؟ وفي محاولة لإيجاد إجابة أو إجابات اختار هذا البحث مسألة الكتابة باللغة العربية/ مزاياها، ومشكلاتها، وإمكانية تطويرها، مع إيماننا بأنّ تطوّر أي لغة مرتبط بتطور الأقوام التي تنطق بها، وصدق مصطفى صادق الرافعي حين قال في كتابه "وحي القلم": "ما ذلّ شعبٌ إلا ذلّت لغته، ولا انحطّ إلا كانت لغته في ذهابٍ وإدبار".

مهارات اللغة العربية:

تعني كلمة مهارة عند اللغويين: الحُدُق والإتقان في الشيء، والحاذق: هو الماهر، أما عند علماء التربية فلها تعريفات كثيرة نختار منها:

"المهارة هي السلوك المتعلّم أو المكتسب بطريقة منظمة، والذي يكون موجّهاً نحو إحراز هدف معين بحيث يُؤدّي في أقصر وقت، وأقلّ جهد ممكن" (2). وبالنسبة إلى المهارة اللغوية فتُعرّف بأنّها الاستخدام اللغوي الصحيح، والجودة في الأداء للجملة التي اشتملت على المهارة اللغوية في أقل زمن ممكن، ويرى بعض الباحثين أنّ المهارة اللغوية هي أبسط وحدات النشاط اللغوي، وتتصل بأداء الفرد للمهارة على المستويين الشفوي (مسموعة أو منطوقة)، والتحريري (مقروءة أو مكتوبة) (3).

إنّ هذا الفهم للمهارة يعني أنّ اللغة كلّ متكامل يشتمل على مهارات: الاستماع، ثم الكلام (المحادثة)، والقراءة، فالكتابة، ويتكوّن هذا النظام بداية من (4):

أ. النظام الصوتي وهو العنصر الأبسط في اللغة، ويسمّى العلم الذي يدرس الأصوات اللغوية علم الأصوات (phone tics)، وتقسّم الأصوات إلى:

1. الصوامت consonants، وهي الحروف الساكنة وعددها (28) حرفاً.
2. الصوائت (vowels)، وتشمل الحركات القصيرة (الضمة والفتحة والكسرة)، وحروف المدّ (أ، و، ي) وتسمّى حركات طويلة.

ب. النظام الصرفي: إذا كان علم الأصوات يهتم بالصوت المفرد، فإنَّ اهتمام علم الصرف ينصبّ على الكلمة المفردة، وعلم الصرف له نظامه الذي تحكمه قوانين خاصة به، وهو الوصف الثابت للكلمة الذي لا يتغيّر بتغيّر موقعها من الكلام، ويُعنى بالتغيير الذي يطرأ على بنية الكلمة، ويتضمّن المشتقات وزيادات الأفعال و...

ج. النظام النحوي: وهو مجموعة من القواعد التي تعمل على ضبط أواخر الكلم في اللغة العربية، لتحقيق النطق السليم والكتابة بدون أخطاء، ويهتمّ علم النحو بدراسة الجملة، والجملة هي الكلام الذي يؤدّي معنى مفيداً/ مفهوماً عند الوقف، كقولك: اسكتّ.

د. النظام الكتابي: عرّف دون (Donn) "الكتابة: بأنّها ترجمة الأصوات المنطوقة إلى رموز خطيّة مكتوبة بطريقة منظّمة، بحيث تُكوّن كلمات وجملاً، ترتبط ببعضها لتكوّن نصّاً متناسقاً له معنى" (5). وهذه الرموز هي الحركات والحروف، وهذا ما نطلق عليه اسم "الرسم الاملائي"؛ الذي يهدف إلى تصوير اللفظ المنطوق تصويراً خطيّاً يتيح للقارئ أن ينطق به نطقاً دقيقاً دون خطأ، وفق قواعد مرئية و وضعها علماء اللغة، لأنّ أي خطأ في التصوير الكتابي (كما يحصل في الأخطاء الطباعية)، يؤدّي إلى التباس المعنى، وتحويل الكلمة عن دلالتها الصحيحة.

والكتابة ليست نشاطاً آلياً يهدف فقط إلى رسم الكلمات، ولا يجهل أحد أهمية الكتابة، ودورها الوظيفي في كونها وسيلة اتصال بين الإنسان والبيئة، من خلال تنشيط المواهب، وتفجير القدرة التعبيرية عما لدى الأفراد من أفكار وآراء وإبداعات. فالمرء عندما تضغط فكرة ما على ذهنه يقوم بتفريغها عن طريق الكتابة، والأديب شاعراً كان أم روائياً حين يأتيه الإلهام يسارع إلى تسجيله قبل أن يهرب منه، وكذلك يفعل الموسيقار. وتعدّ الكتابة من أهمّ الأشياء التي توصل إليها العقل البشري، "ويذكر علماء الانثروبولوجيا أنّ التاريخ الحقيقي للإنسان بدأ حين اخترع الكتابة، فهي التي فتحت أمامه سبل التقدّم العلمي والحضاري، وساعدته على تسجيل تراثه، وتدوين معارفه ونقل العلوم والأفكار من جيل إلى آخر" (6).

وأثبتت بعض الدراسات أنّ المتعلّمين اليوم بحاجةٍ إلى إتقان مهارة الكتابة أكثر من غيرها من مهارات اللغة، مثل الكلام والقراءة، وتكمن أهميّة الكتابة من زاوية أخرى في كونها وثيقة الصلة بمهارة القراءة التي أصبحت جزءاً أساسياً في حياتنا، ودلّت البحوث والوقائع على أنّ الكتابة ليست عملاً منفصلاً عن القراءة، والتقدّم في الكتابة يستدعي تقدّماً في القراءة، لاعتقادنا أنّ قدرة التلميذ على وضع الحروف التي تُكوّن الكلمات بعضها بجانب بعض أكبر من قدرته على فهم هذه الكلمات بعد تكوينها، ففي الكتابة ينقل الطفل (المتعلّم) الأصوات ويعبّر عنها بالحروف (7)، كما أنّ كتابة الكلمات ساعة نطقها يسهّل عملية الحفظ، وذلك لإشراك أكثر من حاسة في عملية واحدة، فتنبت الكلمات في الذهن.

فالقراءة والكتابة عمليتان متلازمتان، وإذا كانت القراءة هي ترجمة الرموز الاصطلاحية المكتوبة إلى ألفاظ، فإنّ الكتابة هي التعبير عن الألفاظ المنطوقة برموز مكتوبة، وهذه الرموز هي الحروف والحركات، فإذا تعلّم الطفل (المتعلّم) هذه الرموز، وعرف مدلولاتها

الصوتية استطاع أن يقرأ وأن يكتب، وأن يحقق أشياء كثيرة، كما قال الشاعر الكبير محمود درويش عن الكلمات والحروف (على المستوى الظاهري للنص) (8):

كُلُّ ما لا تَبْلُغُهُ يَدَاكَ الصَّغِيرَتَانِ مِلْكُ يَدَيْكَ الصَّغِيرَتَيْنِ

إِذَا أُتِّقِنْتَ التَّدْوِينَ بِلا أخطاء

مَنْ يَكْتُبُ شَيْئاً يَمْلِكُهُ

قَرَبَ حَرْفاً مِنْ حَرْفٍ تَسْمَعُ صوتَ المطر

إِذَا لَمْ تُحْطِ فِي كِتابَةِ كَلِمَةٍ نَهْرٍ

فَسَيَجري النَّهْرُ فِي دَفْتَرِكَ

السَّماءُ أَيضاً تُصْبِخُ جزءاً مِنْ

مُقتَنياتِكَ الشخصية إِذا لَمْ تُحْطِ فِي الإِماءِ

فَكيفَ يُسجِنُ البَحْرُ فِي أَحرفِ ثلاثة؟

وكيفَ تَتَسِعُ الحروفُ لِكُلِّ هذه الكلمات؟

وكيفَ تَتَسِعُ الكلماتُ لِاحتِضانِ العالمِ؟

وترتبط الكتابة أيضاً بجماليات الخط العربي الذي يجعل الكلمات واضحة، ومريحة فتسهل قراءتها، ويُفهم المراد منها. وقد أشار كل من تناول الحروف العربية إلى السمة الجمالية لها، وذهب بعض الباحثين إلى القول: إنّ الحرف العربي من أجمل الحروف، ونُسب إلى أحد ملوك الروم قوله: "ما رأيت شيئاً للعرب أحسن من خطّهم، وما أحسدهم على شيء حسدي لهم على جمال حروفهم". وروي أنّ الخليفة العباسي المأمون قال: "لو فاخرتنا الملوك والأعاجم بأمثالها لفاخرناها بما لنا من أنواع الخط" (9).

مراحل تعليم الكتابة: يتمّ تعليم الكتابة ضمن أهداف محدّدة توضّح مهارات الإملاء التي ينبغي أن يتقنها كلّ من يكتب بالعربية، وهذه الأهداف تحدّد الطرق والأساليب التي تتناسب مع تحقيق هذه الأهداف، ونظراً لأهمية الكتابة فإنّ تعليمها وتعلّمها يمثّلان عنصراً أساسياً في العملية التربوية، وتمرّ عملية تعليم الكتابة في مرحلتين (10):

أ. المرحلة الأولى: الرسم الإملائي والتدوين: ويُعرّف الرسم الإملائي بأنه "فن رسم الكلمات بالعربية عن طريق التصوير الخطّي للأصوات المنطوقة، ويرموز تتيح للقارئ أن يعيد نطقها... وذلك وفق قواعد مرئية وضعها علماء اللغة" (11). وكلّ خطأ في الرسم الإملائي (التصوير الكتابي) يُربك القارئ، وقد يتعد بالكلمة عن مدلولها المقصود. فالرسم الإملائي يعتمد على الخط والتهجي، وتتعاون في ذلك أعضاء الأذن والعين واليد، وتتضمّن هذه العملية عدة خطوات وهي:

1. نطق الحروف (12) نطقاً صحيحاً من حيث المخرج، وتقسّم الحروف الصامتة والصائتة من حيث طريقة نطقها إلى أصوات مجهورة وهي التي يحدث عند نطقها تذبذب للأوتار الصوتية وهي: ب ج د ذ ر ز ض ظ ع غ ل م ن و ي (الصوائت جميعها)، وأصوات المهموسة وهي التي لا يحدث عند نطقها تذبذب للأوتار الصوتية، وتشمل بقيّة الحروف. لأنّ المتعلّم يقلّد المعلم، وروى أحد الموجهين في المدارس أنّه سأل تلميذاً في الصفوف الدنيا عن مكان الرحلة التي تنوي المدرسة القيام بها، فأجاب: القناطي الخبية، وهو يقصد "القناطر الخيرية/ مصر" وسأل الثاني فالثالث... وكترّر الجميع الإجابة نفسها، فتوجّه بالسؤال عينه إلى معلّم الصف، وكانت المفاجأة الصاعقة أنّ المدرّس يلغ في حرف الراء، ويبدله ياء.

2. التمييز بين أصوات الحروف المتشابهة في النطق، والربط بين صوت الحرف وشكله ومثال ذلك:

- حرف الذال (ذ): ينطقه الناس زاياً في بعض الكلمات، نحو: إذا/ إزا، ذلك/ زلك، بالذات/ بالزات، الذلّ/ الزلّ، شذى/ شزى، نافذ/ نافز، نافذة/ نافزة (اسم علم)، نفوذ/ نفوز...
 - حرف الظاء (ظ): يُلفظ في بعض الكلمات زاياً، وكأنّه هو الأصل نحو: نظام ومشتقاته: ناظم، نظمي تُلفظ (نزام، نازم، نزمي، نزمية) - وبخاصة في أسماء الأعلام.
 - حرف الضاد (ض): يُلفظ ظاءً في بعض اللهجات، وتُحلّ في الكتابة الظاء محلّ الضاد، مثل: الأرض/ الأَرط، يضحك/ يظحك، يضطر/ يظطر، يضخّي/ يظخّي... وهكذا.
- وهناك حروف أخرى لا يسمح المجال بتفصيلها في أمثلة، مثل: س/ص (سورة/ صورة)، د/ض (الدور/ الضور)، ت/ط (التوراة/ الطوراة).

3. التمييز البصري بين الحروف المتشابهة في الرسم الإملائي مثل: (ب ت ث، ج ح خ، د ذ، ر ز...)، التاء المربوطة والهاء في آخر الكلمة (ساعة، وجه).

4. التعرّف على أسماء الحروف الهجائية وأشكالها (13) حسب مواقعها المختلفة (في أوّل الكلمة، أو في وسطها، أو في آخرها)، من حيث الانفصال والاتصال، والصوت المحتمل لكلّ حرف ومثاله، حرف اللام:

- يأتي منفصلاً (جلال)، ويأتي متصلاً (لا).
- يأتي في أوّل الكلمة (ليل)، وفي وسطها (سلب)، وفي آخرها (بل).
- من حيث الحركات والسكنات: ل: بل، ل: ليل، ل: لُعبة، ل: لثة.

■ ومع حروف المدّ: لا: لائم، لو: سُلوك، لي: لينة.

5. رسم الحروف التي تتغير أشكالها حسب موقعها من الكلمة بشكل واضح، وبالطريقة التي اتفق عليها علماء اللغة.

6. وضع النقط على الحروف، وكذلك الهمزات في أماكنها الصحيحة.

7. كتابة الكلمات حسب قواعد الإملاء الهجائية، بترك مسافات مناسبة بين الحروف والكلمات بشكل متناسق وجميل.

8. التمييز بين التاء المربوطة والتاء المبسوطة بالاحتكام إلى النطق (حياة، صفات).

9. التمييز بين الحركات القصيرة وحروف المدّ (ا و ي): (بَرع - بارع، فهم - فهم، جُد - جود، عُد - عود).

10. التمييز سماعياً بين ال القمرية (القمر) و ال الشمسية (الشمس) عن طريق النطق.

11. التمييز في النطق بين الظواهر الصوتية المختلفة مثل: الشدّة وحروف المدّ نحو: شدّ/ شادّ، عدّ/ عادّ، حلّ/ حالّ، تبيّن/ تبايّن.

12. التفريق بين همزي الوصل والقطع: أكرم، إذا/ استغنى، انتقد.

13. كتابة الهمزة في وسط الكلمة وفي آخرها، حسب قواعد الإملاء المتعارف عليها (لؤم، شيء).

ب. مرحلة الإنشاء: أي إنشاء المعاني، وتكوين الجمل المترابطة للتعبير عن الأفكار التي يودّ الكاتب إيصالها إلى القارئ بوضوح، وهي عملية عقلية تتطلّب عدّة مهارات من الكتابة؛ لإنشاء المعاني وتركيب اللغة، مثل: انتقاء الشكل الصحيح للجملة، والدقّة في استعمال أدوات الربط، وتحديد الغرض من الكتابة (14)، نذكر منها:

1. كتابة الواجبات المنزلية والتدريبات.

2. كتابة الرسائل والردّ عليها.

3. كتابة المذكرات أثناء المحاضرات.

4. كتابة المقالات والأبحاث القصيرة.

5. كتابة البحث العلمي.

6. كتابة وقائع الاجتماعات.

وجاء في دراسة ميدانية أجراها د. محبوب التنقاري على عيّنة من الدارسين، يبلغ عدد أفرادها (149 شخصاً)،

يتعلّمون العربية كلغة ثانية، أنّ حاجتهم إلى مهارات اللغة مُرتبة حسب أهميتها على النحو التالي:

i. مهارة الكتابة.

ii. مهارة الاستماع والكتابة.

iii. مهارة القراءة والكتابة.

iv. الكلام والكتابة.

وهذا يؤكّد أنّ جميع متعلّمي اللغة العربية بحاجة إلى معرفة أصول الكتابة بالعربية، لأنّ الكتابة هي الوجه التحسيدي الملموس للغة، فإذا كانت سليمة استطاع القارئ أن يفهم المقصود من الكلام دون لبس أو غموض. وينبغي التنويه إلى أنّ التواصل اللغوي عبر الكتابة هو الوسيلة السائدة التي لها الغالبية في المجالين التعليمي والثقافي، بل هو كما يقول عبد العليم إبراهيم "الوسيلة الوحيدة لعملية الفهم والإفهام التي تتمّ بين اثنين أو أكثر، تفصل بينهم المسافات الزمانية والمكانية" (15)، وهذا ما نلمسه اليوم في (chat) المحادثة أو الدردشة على الإنترنت، والبريد الإلكتروني (email)، ومواقع الشبكات الاجتماعية مثل (facebook).

مشكلات الكتابة بالعربية وطرائق علاجها:

تعاني العربية عموماً من بعض العوائق التي تقف في وجه الناطقين بها، أو الراغبين في تعلّمها، ويرى بعض الدارسين أنّ صعوبات العربية تكمن في:

1. ظاهرة الازدواج اللغوي بين العامية (اللهجات المحلية) وبين الفصحى (لغة القراءة والكتابة).
2. صعوبة القواعد العربية.
3. الحرف العربي.

فمشكلة الكتابة بالعربية واحدة من المشاكل التي يعاني منها المعلمون والمتعلّمون على حدّ سواء، وجاء في استفتاء خاص بتعليم اللغة العربية، أجرته المنظمة العربية عام 1974 م، في السؤال الموجه إلى مدرسي اللغة العربية عن الصعوبات التي تواجههم في تعليمها، جاء ضمن هذه الصعوبات الكتابة بالعربية. ويؤكّد د. حسام الخطيب أنّ العربية في شكل كتابتها الحالي تحتاج إلى جهد خاص في الكتابة... ودعا إلى إعادة النظر في طريقة الكتابة دون أن نتخلّى عن حروفنا الأصلية، وأنّ نستنبط طريقة تتيح للإنسان أن يقرأ لكي يفهم، وتزيل الالتباسات والاحتمالات المتعدّدة لقراءة الجملة أو الكلمة الواحدة (16).

وننوّه في البداية إلى أنّ لكلّ لغة نظامها الكتابي الخاص، والنظام الكتابي هو محاولة لتصوير اللفظ المنطوق تصويراً خطياً يتيح للقارئ أن يقرأ قراءة سليمة، وأنّ يفهم المقصود منه دون لبس. ويرى د. عبده الراجحي "أنّه لا يوجد نظام كتابي في العالم نجح في تصوير نطق لغته تصويراً كاملاً، ومع ذلك لا يشكو أحد، بل يدركون أنّ كلّ نظام يقتضي تعلّماً وتدريماً وممارسة، مما قد يستغرق وقتاً وجهداً، وأصحاب كل لغة يعتزّون بنظامهم الكتابي، بصفته رمزاً للغتهم التي هي كيانهم" (17).

ومع إقرارنا بجمال كلام د. الراجحي، وتأكدنا من أنّ اللغة العربية ليست اللغة الوحيدة الصعبة في التعلّم، إلا أنّنا لا نتفق معه في إبقاء الموروث اللغوي دون مناقشة أو مراجعة، أو إعادة النظر فيه لتقييمه، ومعرفة ما له وما عليه. وجاء في تقرير قادة مجموعة الثماني في مؤتمرهم الذي عقده عام 2004 م تحت عنوان "تحديث اللغة العربية" ما نصّه: "إنّ عدم تطوير اللغة العربية، وعدم تحرّرها من أشكالها القديمة التي ظلّت عليها منذ قرون، أدّى فعلياً إلى صعوبة كبرى في استيعاب أهل الحضارات، والأديان الأخرى لهذه اللغة أو تعلّمها، أو الاقتراب فكرياً ممن يتحدّث بها" (18) وعالم اليوم كلّه يقوم بعمل بحوث لتطوير تعليم اللغات، ويتمّ التطوير "بالعمل الدؤوب على ارتقاء الوسائل والغايات، وينهض به المتخصصون ذوو الخبرة، مسترشدين بما يوحى إليه الأمر الواقع، وما عسى أن يؤخذ عليه من ظواهر النقص والقصور والتخلّف" (19).

إنّ مشكلة الكتابة أو الرسم الإملائي بالعربية وحاجتها إلى التيسير مشكلة قائمة؛ وقد وجدت - من خلال تجربتي في تدريس المهارات اللغوية للطلبة الجامعيين لسنوات طويلة - أنّ الخطأ النحوي قد يعالج، وينتهي الطلاب إلى إتقان القواعد، كما أنّ الخطأ النحوي - إذا وقع فيه المتعلم - غالباً لا يؤثّر على المعنى كقولك: جاء المعلمون أو جاء المعلمين. قطفت الزهرتين/ الزهرتان، وأرجو ألا يفهم من هذا الكلام التسامح في الخطأ النحوي، ولكن ما أودّ قوله أنّ تقويم الخطأ الإملائي أمر في غاية الصعوبة، وذلك لأنّ المتعلم نفسه لا يعطي هذا الخطأ الاهتمام ذاته الذي يعطيه للخطأ النحوي، كما أنّه يعتقد أنّ الإملاء هو جزء من مرحلة طفولية ذهبت إلى غير رجعة، ويصرّ على كتابة بعض الكلمات المشكّلة بالطريقة التي اعتاد عليها، دون أن يكلف نفسه عناء استحضار أو تذكّر القاعدة التي تحكم الرسم الإملائي، ونذكر في هذا المجال بأنّ الخطأ الإملائي أحياناً يقلب المعنى فحين يكتب الطالب همزة (سئل) على ألف (سأل)، فإنّ الفعل يتحوّل من مبني للمجهول إلى معلوم، ويتغيّر موقعه من مسؤول وقع عليه الفعل إلى سائل قام بالفعل، وكذلك لو كتبنا همزة اسم الفاعل من (هنا) على ألف (مُهنأ) فإنّها تنقله إلى اسم المفعول، وبدلاً من أن يقوم بالفعل، يقع عليه الفعل، وهكذا... فالخطأ الإملائي يشوّه الكتابة، ويشوّه عمليات الفهم. وقام عدد من الباحثين بعمل اختبارات تشخيصية مُقنّنة، وطبقوها على عينات كبيرة من الدراسين لتحديد مواطن الضعف اللغوي الشائعة عندهم، فوجدوا أنّ مشاكل الكتابة التي تواجه المبتدئين أو القائمين على العملية التعليمية يمكن أن تنحصر في العناوين التالية، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الصعوبة في هذه العناوين متفاوتة، وأنّ بعضها من السهل الذي يمكن تجاوزه، بينما يحتاج بعضها الآخر إلى علاج مكثّف، وهي:

1. حروف تُكتب ولا تُنطق: توجد في العربية كلمات محدودة تشتمل على حروف (صامتة) أي تُكتب ولا تُنطق، وأماكن هذه الحروف محدّدة يمكن حفظها، ولها تبريرها المنطقي، نذكر منها الألف الفارقة بعد واو الجماعة مثل: ذهبوا، لعبوا، وحيء بهذه الألف لتمييز الواو الواقعة في آخر الفعل في كونها ضميراً له محلّ من الإعراب، عن غيرها من أنواع الواو التي يمكن أن تأتي في آخر الكلمة مثل: الواو الأصلية في (يدعو، نرجو)، واو جمع المذكر السالم (معلمو المدرسة).

اقتراح: يمكن الاستغناء عن الألف الفارقة، لأنّ قرينة المعنى تبين نوع الواو. أما الواو الفارقة في كلمة (عمرو)، فأعتقد أنّه لا يمكن الاستغناء عنها، لأنّ التمييز بين (عمر وعمرو) يحتاج إلى تفعيل الحركات عند غياب الواو الفارقة، وهذا ليس سهلاً.

2. حروف تُنطق ولا تُكتب: هذه الحروف موجودة في عدد محدود من الكلمات العربية، وفي الغالب تكون (ا) الصوت المنطوق غير المكتوب، وهذا موجود في كلمات بعينها مثل: ذلك، لكن، هذا، هذه، وقد تكون (و) مثل: داود، طاوس.

اقتراح: بما أنّ غالبية الكلمات العربية تُكتب كما تُنطق، فليس هناك ما يبرّر حذف الألف (حرف المدّ) أو (الواو) حرف المدّ والأفضل أنّ تُكتب الألف فيما تقدّم، لتصبح (هاذا، ذلك...)، ويندرج تحت هذا العنوان كلمة (ابن) التي قد تُحذف منها الألف بشروط وهي: أنّ تقع بين علمين، وأنّ تكون نعتاً/ بدلاً للعلم السابق، وألا تأتي في بداية السطر، مثل هذا الكلام لا يخدم العربية، ونقترح أنّ تُكتب هذه الكلمة دائماً ب (ا)، أيما جاءت نحو: خالد ابن الوليد قائد مسلم. ليظلّ الرسم الإملائي مطابقاً للنطق. ويندرج تحت الحروف التي تُلفظ ولا تُكتب نون التنوين، وهي نون ساكنة تلحق آخر الأسماء المعربة بشروط (الصرف، عدم التعريف بأل، عدم الإضافة)، والمعروف أنّ هذه النون لا تُكتب بل يُرمز إليها في حالتي الرفع والجر، وتوضع غالباً على ألف في حالة النصب. ونقترح لتوحيد فكرة التنوين، إضافة حرف النون إلى جميع الكلمات المنوّنة، وهذا التوحيد يقلّل من الأخطاء الإملائية والنحوية على حدّ سواء.

3. التمييز بين التاء المربوطة والتاء المفتوحة، وهذه من الأمور البسيطة، لأنّ التاء المربوطة هي التي تُلفظ هاء عند الوقف، نقول: (ساعة، دولة) أما التاء المفتوحة فتُلفظ تاء في جميع الأحوال (قالت - أخوات، صفات).

4. كتابة الألف اللينة المتطرّفة:

وهي حرف المدّ (ا)، والمعروف أنّ الألف لا تكون أصلية في كلمة عربية، فهي إما زائدة مثل: (كاتب، بائع)، أو منقلبة عن واو (قال/ يقول، دعا/ يدعو)، أو منقلبة عن ياء (مال/ يميل، رمى/ يرمي)، وسُمّيت الألف اللينة لتمييزها عن الألف الصلبة وهي الهمزة التي تُخفّف في النطق، كما كان في لهجة قريش قديماً نحو قولهم: راس بدلاً من رأس، فار بدلاً من فأر، وهو أمر شائع في اللهجات العربية المعاصرة.

والألف اللينة لا تكون في أول الكلمة، لكنها تأتي في وسطها، وتُكتب دائماً قائمة، فلا إشكال في إملائها، أما كتابتها في آخر الكلمة فلها صورتان:

i. أَلْف قائمة مثل: دعا، رنا، دنيا، عُليا.

ii. أَلْف نائمة أو على هيئة الياء المهملة مثل: رمى، نجوى، استغنى.

ويرتبط الرسم الإملائي للألف اللينة بمجموعة من القواعد، والمشكلة هنا أننا نعبر عن الصوت الواحد (ا)، بصورتين مختلفتين، وذكر د. محمد شوقي أمين أنّ لجنة الإملاء المنبثقة عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، رأّت أنّ تُكتب الألف اللينة على هيئة الألف (ا، صورة واحدة) دون استثناء. أما كلام أولئك الذين يقولون: إنّ رسمها بالألف أو الياء المهملة هو مراعاة للأصل الصرّي، فمردود عليه بأنّ الخطّ لا يجيب عن أسئلة تتعلق بأبنية الكلام (20).

5. كتابة الهمزة: الهمزة حرف هجائي صحيح، وهي كثيرة الدوران في الكلمات العربية، والرمز الأصلي للهمزة هو شكل حرف العين الصغير (ء)، فتأتي في بداية الكلمة (أكل، إنّ)، وتأتي في وسط الكلمة (بؤرة، رئة)، وتأتي في آخر الكلمة (دفع، شاطئ، وضوء)، وتشكّل كتابة الهمزة نقطة ضعف لمن يكتب بالحرف العربي، والسبب أنّ صورها متعدّدة ومتغيّرة، وقواعدها كثيرة، وبعض هذه القواعد موضع خلاف بين علماء اللغة، تبعها الكثير من الاستثناءات والشواذ، الأمر الذي أرهق المتعلمين، ودفعهم إلى العزوف عن تعلّم قواعد كتابة الهمزة، مع العلم بأنّ القواعد الأساسية للهمزة قليلة ومضبوطة، ويمكن تلخيصها في سطرين، بعد تخليصها من الشواذ، وفيما يلي توضيح ذلك:

أ. الهمزة في بداية الكلمة: تكون الهمزة في بداية الكلمة إما:

- همزة وصل: وترسم على شكل رأس صاد صغيرة (ص) وكانت تُوضع فوق الألف مثل: (اكتب، اخرج)، وتُوضع تحت الألف إنّ كانت مكسورة مثل: اتّصل، ابن، غير أنّ الكتابة العربية استغنت عن رسم همزة الوصل مكتفية برسم رمز نظيرتها همزة القطع. وهذا الإجراء إيجابي. وحدير بالذكر أنّ همزة الوصل تثبت لفظاً وكتابةً إذا لم يتصلّ بها ما قبلها من الكلام، أما إذا اتصل بها كلام سابق، فإنّها تصبح من الحروف التي تكتب ولا تلفظ (وقد انتصر عليه وانتقم منه) (وامرأته حمّالة الخطب).

ويقوم كثير من الناس بقطع همزة الوصل، وشاع هذا الخطأ حتى أصبح وكأنّه الصواب، وقد عملت الفضائيات ووسائل الإعلام على تنبيته، فالهمزة عندهم (في أول الكلمة) دائماً همزة قطع (اتّصل وإريح، احتفل، اجتهد...). كما أنّ بعض الكتب المطبوعة والمدقّقة لغوياً تحفل بهذا الخطأ الشائع، وذكر أحد الزملاء الذين يدرسون مادة الاقتصاد أنّه اضطر إلى إعادة طباعة كتاب له بسبب همزة الوصل، حين ظهر عنوان الكتاب هكذا (مبادئ الاقتصاد)، ناهيك عما في داخل الكتاب من أخطاء إملائية.

- همزة قطع: وهي ألف فوقها همزة مفتوحة أو مضمومة (أكل، أم)، وترسم أسفل الألف إذا كانت مكسورة (إكرام، إحسان)، وتكون على شكل عين صغيرة (ء)، ورسم همزة القطع لا بدّ منه.

وتظلّ هذه الهمزة كأثما في أول الكلمة إذا اتصل بها بعض الحروف مثل: لام المحوود، ولام

الابتداء، وباء الجرّ وغيرها... (ما كنت لأخون وطني، لأدفعنّ عن حقي...) .

ب. الهمزة في وسط الكلمة: لها أربع صور تخضع لقواعد دقيقة، وهي حركة الهمزة وحركة ما قبلها، وترسم الهمزة

على حرف مناسب للحركة الأقوى، مع ملاحظة أنّ الكسرة أقوى الحركات، تليها الضمة فالفتحة، ومن

أمثلتها: فئمة، بُؤرة، شآن، قراءة.

ج. الهمزة في آخر الكلمة: يراعى في كتابتها حركة ما قبلها ولها أربع صور:

[1] ترسم على نبرة إذا كان ما قبلها مكسوراً (شاطيء).

[2] ترسم على واو إذا كان ما قبلها مضموماً (لؤلؤ).

[3] تُرسم على ألف إذا كان ما قبلها مفتوحاً (نشأ).

[4] ترسم منفردة إذا كان ما قبلها ساكناً (هواء)، (عبء).

وأينما جاءت الهمزة فإنّ رسمها قد يقتزن بالوقوع في الخطأ، ففي بداية الكلمة لها صورتان (همزة قطع وهمزة

وصل)، والكاتب العادي يُغفل وضع همزة القطع في أماكنها المناسبة، مما يترتب عليه خطأ في القراءة وبخاصة إذا اتصل

بالهمزة حرف عطف أو حرف جر أو غيره. أما همزة الوصل فغالباً ما تُقطع، ويقوم الكتبة برسم همزة لها، ويقعون في الخطأ.

أما الهمزة في وسط الكلمة أو في آخرها فلها أربع صور، والمتعلّم العادي لا يُكلّف نفسه عناء تطبيق القاعدة الخاصة برسمها،

ويكتب الهمزة بطريقة عشوائية، ناهيك عن وجود استثناءات للقاعدة الأصلية، إلى جانب اختلاف العلماء في تطبيق

بعضها، وإباحة أكثر من وجه، مما يُوقع المتعلم في حيرة، ويشكّل عقبة أمامه، فمثلاً كلمة يقرأون في المناهج المدرسية تُكتب

على عدة أوجه (يقرأون، يقرؤون، يقرءون). ويتساءل التلميذ (المتعلّم): أي الصور أفضل؟ ما الصواب وما الخطأ؟ وذهب

د. مصطفى سليمان إلى أنّ حلّ مشكلة كتابة الهمزة وشفاء المعتل (الفعل المعتل الوسط والمعتل الآخر)، يسهّل الكثير من

أعمال الباحثين في صناعة الكتابة، وصناعة الآلات المخصّصة للكتابة والطباعة، وخصوصاً صناعة الحاسوب، فلماذا لا

تكون الهمزة ثابتة في كلّ مواقعها (21)؟

إنّ تسهيل كتابة الهمزة يكون بتحديد قواعدها، والتخلّص من كثرة الاستثناءات في تطبيقها، وفي اعتقادي أنّ القاعدة

الأساسية لكتابة الهمزة المتوسطة في غاية السهولة، إذ يُراعى في كتابتها حركة الهمزة، وحركة ما قبلها، ثم كتابتها على حرف

مناسب للحركة الأقوى، والأصل أن نكتفي بهذه القاعدة وأنّ نعمّمها على جميع الهمزات المتوسطة دون النظر إلى نوع

الحرف الذي قبلها كما هو الحال في كلمتي: هيئة، ونشأة، فإنّ همزة (هيئة) كُتبت على نبرة بتأثير الياء، أمّا في كلمة نشأة

فكُتبت على ألف مع أنّ ظروف الهمزة متماثلة في الكلمتين، (سكون/ فتحة والفتحة تستدعي الألف)، وكذلك الأمر

المتعلّق بتحويل الهمزة المرسومة على ألف إذا تلتها ألف (ا) في الأسماء إلى مدّ، مثل: مبدآن/ مبدآن، ملجآن/ ملجآن،

بينما يجوز في الأفعال الوجهان، مع تفضيل الفصل بين الهمزة وألف الاثنين، فنقول: يبدأ، يلجأ. والاقتراح أن تنسحب القاعدة على الأسماء والأفعال دون تمييز، طالما أنه ليس هناك لبس في القراءة. والأصل هو توحيد قواعد الرسم الإملائي وتطبيقها في الحالات المتشابهة.

6. الحرف العربي: يشكو كثير من الدارسين للغة العربية من الحرف العربي، ولخصوا مشاكل الحرف العربي في النقاط التالية:
أ. تعدد صورة الحرف باختلاف موقعه من الكلمة (أول الكلمة، وسط الكلمة، آخر الكلمة)، من حيث الاتصال والانفصال، ونجم عن تعدد صور الحرف الواحد أن وصل عدد حروف (الألف باء) في صورها المختلفة - كما يقال - إلى تسعين صورة (وهذا الرقم ضخم جدا)، ويجب على المتعلم أن يحفظ هذه الصور. وبنظرة سريعة إلى لوحة المفاتيح (Keyboard) ندرك العدد الهائل للحروف العربية، مثال ذلك حرف العين (عين، شعر، جميع، جوع). ومن منطلق الإحساس بهذه المشكلة تقوم المجامع اللغوية في العواصم العربية، وعلى رأسها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بالعمل على اختصار هذه الصور المتعددة لتسهيل الطباعة بها، وقد توصل المجمع المذكور بعد مناقشات طويلة إلى قرار ينص على اختصار الحروف إلى أقل عدد ممكن مع الاحتفاظ بطبيعة الخط العربي وفنه، وتجنب المباعدة بين القديم والحديث، والمدهش في الموضوع أن هذا القرار صدر سنة 1961 من القرن الماضي، وبقي حبراً على ورق (22).

ب. وضع النقاط على الحروف: إن كون الحروف العربية منقوطة يُشكل القارئ أحياناً، لأن هذه النقاط تستعمل كعلامات فارقة لتمييز الحروف العربية المتشابهة في الرسم مثل: ب ت ث، ج ح خ، د ذ، وهكذا. فهذه النقاط توضع أحياناً في غير أماكنها المخصصة لها، كما هو الحال في الخط اليدوي، أو تتداخل، مما يترتب عليه مشاكل في القراءة وفي الفهم أيضاً. وهذا ما عُرف قديماً بالتصحيف الذي أسفر عن أكثر من قراءة للحرف الواحد، ومن أشهرها قول امرئ القيس:

عوجا على الظلل المحيل لعانا نبيكي الديار كما بكى ابن خدام

فقرئت كلمة خدام (بالحاء والذال)، وقرئت (خدام بالحاء والذال)، وقرئت خزام (بالحاء والزاي)، وقرئت خزام (بالحاء والزاي)، ولو قرئت بدون نقط لكانت (خزام).

ج. خلو الحرف العربي من الحروف التي تمثل الصوائت القصار (short vowels)، والحروف التي تحل محل الشدة، وهذا يؤدي إلى الوقوع في الخطأ على مستوى مهاري القراءة والكتابة معاً، لعدم التطابق بين الرسم الإملائي وطريقة النطق، وتكثر هذه الظاهرة في القوافي المطلقة (المضمومة والمكسورة)، أما في حالة الفتحة فالمشكلة ليست قائمة، إذ تستعمل الألف رمزاً للإطلاق الشعري، ومثاله من معلقة امرئ القيس:

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجمّل

فحركة اللام في كلمات (منزل، حومل، تجمّل) حركة قصيرة، ولكنّها في النطق ممدودة أي حركة طويلة، إلا أنّ الرسم الإملائي يأبى استبدال الحركة القصيرة بحرف المدّ الياء لتصبح الكلمات (منزلي، حوملي، تجملي). فهناك صعوبة في التمييز بين قصار الحركات وطوالها، والأمر نفسه في الحروف المشدّدة، فمع غياب الشدّة تتساوى كلمات (عَلِم/ عَلم، ضحك/ ضحك، قديم/ قَدَم...).

وتفاقت هذه المشكلة (خلوّ الخط العربي من الحروف التي تمثل الحركات) في الوقت الحاضر مع ظهور البريد الإلكتروني (Email)، ورسائل الهاتف الخليوي القصيرة (SMS) التي لا يستغني عنها أحد، مع الأخذ بعين الاعتبار العدد الكبير الذي يستعملهما، والتباين في السنّ، وفي المستوى الثقافي، وغياب السمة الرسمية، ممّا أدّى إلى غياب مقاييس اللغة النموذجية، فجاءت هذه الرسائل مليئة بالأخطاء النحوية والإملائية لاستعمال الناس أنماطاً معيّنة من الإملاء المتطابق حرفياً مع النطق، وهذا ما دفع ديفد كريستال إلى التساؤل: "هل تؤدّي المعايير المتساهلة للبريد الإلكتروني إلى نهاية الكتابة والهجاء كما نعرفهما؟" (23)، والأمثلة على ذلك كثيرة، وخاصة حين يتعلّق الأمر بخطاب المؤثّث، ولننظر إلى هذه النماذج:

> عزيزي صفاء: كيف أنت (أنتي)، عسك (عساكي) بخير، أنا مشتاقة جداً لك (لكي)، وأرجوك (أرجوكي) أن تكتبي لي دائماً <

> معلّمتي كلّ عام وأنت (أنتي) بخير، أتمنى لك (لكي) ولأسرتك (لأسرتكي) حياة سعيدة <
> لقد كتبتُ التلخيص وسأرسله لك (لكي) الآن، وهناك فتاة معنا في المحاضرة طلبت مني أن أعطيك (أعطيك) التلخيص الخاص بها، وأنا ممنونة فضلك (فضلكي)، ومرة ثانية شكراً لك (لكي) <

إنّ المتتبع لمثل هذه الرسائل المتبادلة يجد أنّ الحركة القصيرة في الخطاب تتحوّل دائماً إلى حرف مدّ، وذلك لإزالة اللبس، لأنّ الرسالة بدون هذه الحروف، ومع غياب القرائن الدالة، تُقرأ على أنّها خطاب للمدكّر، فأنّت لا تميّز بسهولة إذا كان الفعل (أحبك) هو للمدكّر أم للمؤنث إلا بوضع العلامة الفارقة، وهي الحركة، والحركات غير موجودة أصلاً على الهاتف الخليوي، فماذا نفعل؟ هل نستعمل حرف المدّ وتصبح (لك/ لكّي، بك/ بكّي، أحبك/ أحبكي)، حتى يفهم القارئ المقصود من الكلام على وجهه الصحيح. أم نكتبُ الكلمات العربيّة بحروف لاتينية؟

والسؤال الآن: كيف نحلّ هذه المشكلة؟ هل يمكن تطوير الحرف العربي؟ أم أنّ الحلّ يكون في البحث

عن بديل؟

ظهرت في العالم العربي ومنذ القرن التاسع عشر دعاوى كثيرة تدعو إلى الرومنة (Romanization) وهي استبدال الحروف اللاتينية بالأبجدية العربية، أو أي حروف أخرى يتفق عليها أهل الاختصاص، وقوبلت هذه الدعاوى على المستوى الرسمي باستنكار شديد، ورفض قاطع، على اعتبار أنّها دعوات مشبوهة الغاية منها القضاء على مقوماتنا الثقافية (اللغة والدين)، ومحاربة اللغة، وتغيير الناس منها بوصفها اللغة العاجزة عن مواكبة التقدّم العلمي الهائل، ونستعرض فيما يلي آراء عدد من علماء اللغة في هذا الموضوع، ونبدأ بالأستاذ سعيد الأفغاني الذي كتب تحت عنوان "مزايم الصعوبة في لغتنا" (24):

"يعاني الأجنبي صعوبة حين يتعلّم العربية ليسهل عمله في البلاد العربية، فالحروف غير حروفهم التي بها يكتبون ويقرّون، وبدلاً من أن يصير على تعلّم هذه اللغة... زَيْن لبعضهم الهوى والغطرسة أن نخدمهم نحن، فنستبدل حروفهم بحروفنا، ولا بأس في أن ننسف قواعد لغتنا لنضع شيئاً على نمط قواعدهم، ولنهجر الفصحى لأنّها لا تفيدهم". ورفض د. أحمد مختار عمر (25) فكرة تبني الحرف اللاتيني أو إدخال تعديلات جذرية على الحروف العربية، ويرى أنّ أيّ إصلاح للحروف يجب أن يتمّ في أضيق الحدود، بحيث لا يبتعد كثيراً عن الشكل القديم، حتى لا تنقطع صلتنا بالتراث العربي الإسلامي. وحذّر د. صبحي الصالح من هذه الدعوات قائلاً: "إنّ كلّ محاولة من هذا القبيل مقضيّ عليها بالإخفاق، وأنّ الخطّ العربي سيدوم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها"، ورأى ضرورة الإبقاء على الحروف العربية بشكلها الراهن، على أنّ نرّمز إلى بعض ما ينقصنا من الأصوات الأجنبية (26). ووصف د. عبده الراجحي هذه الدعاوى: بأنّها لا تستند إلى أساس علمي، وتهدف إلى غاية خطيرة، وهي قطع الأجيال الجديدة عن التراث العربي الذي هو أكبر تراث قديم في البشرية، ولك أنّ تتصوّر جيلاً جديداً لا يعرف الحروف العربية، كيف يقرأ القرآن الكريم، والحديث الشريف، والأدب العربي في عصوره المتوالية منذ العصر الجاهلي، ومصادر الفكر والفقه والتفسير وغيرها (27).

إنّ الكتابة في أيّ لغة من اللغات لا تخلو من المآخذ، وربما كانت مشاكل الكتابة العربية قليلة، ومحدودة بالمقارنة مع غيرها من اللغات الحية، كالإنجليزية مثلاً؛ التي تعاني الكتابة فيها ثمّ القراءة من:

- أ. التعبير عن الصوت الواحد بأكثر من رمز ومثاله: was, zoo.
- ب. التعبير عن صوتين بمرز واحد مثل: city, car.
- ج. التعبير عن الصوت الواحد بأكثر من رمز: relation, station, physics.
- د. كثرة الحروف الصامتة (silent) (عدم اتفاق النطق مع الرسم الإملائي) مثل: write, ...knife, eight
- هـ. عدم قراءة الحروف في بعض الأحيان حسب تتالي ورودها في الكلمة مثل: make, face.

وغيرها من المشاكل التي تواجه المتعلم، وليس من غايات هذا البحث عمل مقارنة بين العربية وغيرها، بل غايته تطوير العربية، وفي رحلة التطوير لا مانع من الاستفادة الإيجابية من الآخر، مع الحفاظ - كما سبق - على هويتنا وعلى جوهر الكتابة العربية، وعلى مواكبة العصر الذي بات واقعه يهدّد الحرف العربي - شاء العلماء أم أبوا - وهذا ملموس في رسائل الهاتف الخليوي القصيرة (SMS) التي يُكتب معظمها بالحرف اللاتيني، ونرى أبناء العروبة الشباب يفضّلون هذا الحرف على نظيره العربي لأسباب منها:

[1] أسباب تقنية، إذ كانت لوحة المفاتيح في أول مجموعة من أجهزة الهاتف الخليوي تقتصر على الحرف اللاتيني، وبما أنّ معظم الناس لا يحسنون التعبير عن أنفسهم لفظاً ومعنى بالإنجليزية، اتجهوا إلى كتابة العربية بحروف لاتينية، وطوّروا هذه اللغة، فاستعانوا بالأرقام الغبارية التي تحمل اسم الأرقام العربية (Arabic Numbers)، لتكون بديلاً عن الحروف التي لا مقابل لها في الحرف اللاتيني ومثاله: 2 = ء، 7 = ح، 7 = خ، 9 = ص، 6 = ط، 3 = ع. وشاع هذا النظام الكتابي وتعارف عليه الناس.

[2] إنّ برمجة شركة الاتصالات تسمح لنا في الرسائل القصيرة (SMS) أن نكتب 70 حرفاً بالعربية، يقابل ذلك 160 حرفاً بالإنجليزية.

[3] وجود الحروف المعيّنة عن الحركات (الصوائت القصيرة) يجعل الكتابة بالحرف اللاتيني أكثر وضوحاً ومثاله: kaifa 7aloki? = كيف حالك؟

إنّ هذه الشواهد الملموسة من الكتابة تؤكّد لنا في النهاية؛ أنّ الشكل الحالي للكتابة بحاجة إلى تطوير، دون إغفال الامتداد الزمني الواسع للغة العربية، فما دوّنت العربية وما نظمت منذ زمن بعيد ما زال مقروءاً.

7. الشكّل: هو وضع الحركات على الحروف لضمان ضبط نُبْيَة الكلمة، فالكاتب قد يرسم الكلمات رسماً صحيحاً. لكنّ هذا لا يعني بالضرورة القدرة على قراءتها قراءة سليمة خالية من الأخطاء وفهم معناها الدقيق - إذا لم تُضبط بالشكل، مثال ذلك: يقرأ بعض الطلبة اسم امرئ القيس الكِنْدِي (بكسر الكاف وتسكين النون) بالكِنْدِي (بفتح الكاف والنون)، وهو عندهم من قبيلة كِنْدَة بدلاً من كِنْدَة. وكلمة: (عنان) فهي بفتح العين تعني وسط السماء، ويكْتَى بها عن الشهرة وذبوع الصيت، وهي بكسر العين: لجام الدابة. كلمة بر، حركة العين فيها مثلثة فقد تكون مفتوحة بَر: مقابل البحر، وقد تكون مضمومة، بُر: القمح، وقد تكون مكسورة، بِر: الإحسان. وهناك حركات تؤثر على المعنى الصرّفي للكلمة والوظيفة النحوية، فكلمة مثل: (ضربت) لها رسم إملائي واحد، لكن لها أكثر من قراءة، فهي قد تكون:

- ضَرَبْتُ --> الفعل الماضي مبني على السكون ومُسند إلى تاء الفاعل بكلّ احتمالاتها: المتكلم (ت)، المخاطب (ت)، والمخاطبة (ت).
- ضَرَبْتُ --> الفعل الماضي مبني على الفتح واتصل بتاء التانيث الساكنة.
- ضَرَبْتُ --> الفعل الماضي مبني للمجهول، واتصل بتاء التانيث الساكنة.

إنّ تعدّد القراءات يؤدّي إلى شيوع الخطأ، ومعنى ذلك أنّ استراتيجيات الكتابة تحتم علينا تشكيل الحروف كتابة وطباعة، لضبط الألفاظ، وتيسير القراءة الصحيحة التي تساعدنا على الفهم، مع التخفيف من بعض الحركات التي يمكن الاستغناء عنها، وروي عن جفني ناصف قوله "اشكّل ما يُشكّل"، ومع ذلك فإنّ أكثر الناس يخافون من القراءة خشية الوقوع في الخطأ، مع التشكيل التام للحروف؛ لأنّ الحركات تتداخل، وندر من الناس من لا يخطئ أثناء القراءة. وكانت قضية شكل الكلمات العربية مثار آراء أشتات من الباحثين والنقاد منذ القدم، فمنهم من طالب بالعدول عن العلامات المألوفة إلى رقوم أدقّ منها وأيسر، إذ لوحظ أنّ القارئ يخطئ في المشكول خطأه في غير المشكول، غير أنّ اقتراح العدول لم يظفر بالقبول (28).

ومما يزيد عملية الشكل تعقيداً وجود ظاهرة الإعراب في اللغة العربية، والإعراب هو: أثر ظاهر أو مُقدّر يتغيّر بتغيّر موقع الكلمة من الإعراب، وعلامات الإعراب الأصلية هي الحركات، أما العلامات الفرعية فهي الحروف، قد تكون تارةً إضافة حرف وتارةً حذفه، ومثاله الأفعال الخمسة التي تُرفع بثبوت النون وتُنصب وتُجرم بحذفها، وأي استعمال خاطئ لهذه القاعدة يؤدّي إلى خطأ إملائي كقولك: كيف تستعدّي لامتحان؟ بدلاً من: كيف تستعدين لامتحان؟ ومثله الأفعال الجوفاء (معتلة الوسط) والأفعال الناقصة (معتلة الآخر)، في حالتي الأمر والمضارع المجزوم فإذا قلت من الفعل يتقي: اتقى الله. أو لم يتقي الله، يكون الخطأ مزدوجاً وعلى المستويين النحوي والإملائي... لأنّ القاعدة تنصّ على حذف حرف العلة في الأمر من معتل الآخر، وكذلك في المضارع المجزوم منه.

وعلى الرغم من ذلك، فإنّه يمكن معالجة قضية الشكل عن طريق ضبط الحروف الداخلية للكلمة في الكتب المدرسية المخصّصة للمبتدئين، وكذلك المجالات الموجّهة للصغار والإعلانات، وتقديم البرامج الخاصة بالأطفال باللغة الفصيحة، حتى يكتسب الطفل النطق الصحيح للكلمة بدون تحريف، ثمّ تندرج في التخفيف من التشكيل، ونكتفي بضبط الكلمات الملبّسة، أو التي يكثر فيها الخطأ، لأنّ نصف أخطاء المتكلمين باللغة الفصيحة يمسّ بنية الكلمة، وليس حركة إعرابها فقط" (29).

خاتمة وتوصيات:

إنّ ظاهرة الضعف في اللغة العربية (قراءةً وكتابةً) قائمة، وتتفاقم يوماً بعد يوم، وهذا يعني أنّ العربيّة في خطر، وهي بحاجة إلى دراسات جادة لتشخيص أسباب هذا الضعف ووضع الحلول المناسبة له، مع ضمان تنفيذ هذه الحلول على أرض الواقع، ونذكر في هذا المقام أنّ معظم الدول العربيّة "لديها قوانين تخصّ سلامة اللغة، لكنّ هذه القوانين تبقى في الغالب حبراً على ورق، أو كلاماً في المطلق، لعدم وجود آليات تنفيذية تضمن وجود القوانين على أرض الواقع" (30).

وحدير بالذكر أنّ الكثير من الدراسات التي تناولت مشكلات الكتابة العربية منذ أقدم العصور؛ استطاعت أن تحصر نقاط الضعف في الكتابة التي تحتاج إلى تقويم، في قضايا: الحرف العربي، وما يتعلّق به من الإعجام ووصل الحروف وفصلها، وتعدّد صورها، والشكل (الحركات)، وقواعد الإملاء الكثيرة، والخلاف بين العلماء في بعض القواعد، وكثرة الاستثناءات، ثم ارتباط هذه القواعد بالنحو والصرف.

وبما أنّ لغتنا العربية - كما قال د. طه حسين - يسر لا عسر، فإنّه يتوجّب على علماء اللغة والغيورين عليها أن يعملوا على تيسير تعليم هذه اللغة، وتقديمها بالصورة التي تتناسب مع حاجات المدارس الملحّة، في أسلوب انتقائي مدروس. دون الغوص في محيط اللغة الشاسع الامتداد من العصر الجاهلي حتى الآن، وعلى صعيد الإملاء نكتفي بتدريس القدر الضروري من القواعد الإملائية الذي يحقّق الهدف الرئيس من تدريسها، وهو تصوير اللفظ المنطوق لفظاً صحيحاً. وكذلك الأمر فيما يتعلّق بتدريس النحو والصرف، ناظرين إلى الدور الوظيفي للغة دون الدخول في مآهات، أو خلافات، أو طرح أكثر من رأي؛ لأنّ هذه التفرعات تؤدّي إلى الفوضى، وغياب الدقّة العلمية.

إنّ إعادة النظر في الكتابة تحتاج إلى جهود مكثّفة، وإلى مراكز بحث تجريبية، وعلى علماء اللغويات أن يقوموا بدورهم في تحسين طرق تدريس اللغات، حتى يتمّ بشكل سريع ومركّز، ونختتم هذا البحث بكلام د. يوسف الهلبس: "إنّ اللغة ظاهرة معقّدة جداً، وهي جزء من الإنسان، وكما أنّ علماء الطب والتشريح يعملون بجهد واجتهاد في أبحاثهم العلمية ليعرفوا أكثر فأكثر عن جسم الإنسان؛ فعلى علماء اللغويات أن يجاروهم في أبحاثهم، ليصلوا إلى معلومات أوفى وأدقّ عن اللغة" (31).

المصادر والمراجع:

1. محمود كامل الناقفة. أساسيات في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مؤتمر تطوير تعليم اللغة العربية. الخرطوم : 1976. صفحة 480.
2. أحمد جمعة نايل. الضعف في اللغة العربية (تشخيصه وعلاجه). ط 1. الإسكندرية : دار الوفاء، 2006. صفحة 75.
3. أحمد جمعة نايل. الضعف في اللغة. الصفحات 76 - 77.
4. عبده الراجحي والسيد عبد الغفار. العربية الجامعية والكتابة. ط 1. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2008. صفحة 12.
5. أحمد جمعة نايل. الضعف في اللغة. صفحة 95.
6. فتحي يونس ومحمود كامل الناقفة. أساسيات تعليم اللغة العربية والتربية الدينية. القاهرة : دار الثقافة، 1981. صفحة 233.
7. حسين عبد الرحمن وزايد مقابلة. طرق تعليم الأطفال القراءة والكتابة. ط 1. إربد : دار الكندي، 1989. صفحة 160.
8. محمود درويش. في حضرة الغياب. بيروت : رياض الريس للكتب والنشر، 2006.
9. نقلاً عن حسين عبد الرحمن. طرق تعليم الأطفال القراءة والكتابة. صفحة 146.
10. أحمد جمعة نايل. الضعف في اللغة. صفحة 97.
11. فهد خليل زايد. أساليب تدريس اللغة العربية. عمان : دار اليازوري، 2006. صفحة 106.
12. ذكر عبده الراجحي أنّ مصطلح الحرف لا يُستعمل مقابلاً لكلمة الصوت، بل للدلالة على الرمز الكتابي، ومن هنا تسمى حروف الهجاء. (العربية الجامعية والكتابة، ص 13).
13. أحمد جمعة نايل. الضعف في اللغة. الصفحات 39 - 40.
14. محجوب التنقاري. اللغة العربية لأغراض خاصة. اتجاهات جديدة وتحديات. 2008، المجلد 43، صفحة 85.
15. عبد العليم إبراهيم. توحيد الرسم الإملائي، مؤتمر تطوير تعليم اللغة العربية. الخرطوم : 1976. صفحة 106.
16. حسام الخطيب. هموم اللغة العربية في عصرنا، مؤتمر تطوير تعليم اللغة العربية. الخرطوم : 1976. صفحة 563.
17. عبده الراجحي. العربية الجامعية والكتابة. صفحة 107.
18. صادق العسكري. التحديات التي تواجه الأساتذة في أقسام اللغة العربية وآدابها. المؤتمر الدولي للغة العربية. بيروت : 2012. المجلد 1، صفحة 362. نقلاً عن مجلة الهلال المصرية، عدد 152، فبراير 2005.
19. عبد العليم إبراهيم. توحيد الرسم الإملائي، مؤتمر تطوير تعليم اللغة العربية. الخرطوم : 1976. صفحة 105.
20. محمد شوقي أمين. اللغة العربية بين أيدي الدارسين، مؤتمر تطوير تعليم اللغة العربية. الخرطوم : 1976. صفحة 322.
21. مصطفى سليمان. العربية هي الأقدر للكتابة العلمية، مؤتمر علمي. بنغازي : 1990.
22. مجمع اللغة العربية. تيسير الكتابة العربية. القاهرة : 1961. صفحة 14.

23. ديفد كريستال. اللغة والإنترنت. ترجمة أحمد شفيق الخطيب. ط 1. القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، 2005. صفحة 11.
24. سعيد الأفغاني. مزاعم الصعوبة في لغتنا. مكان غير معروف : مجمع اللغة العربية، 1984. صفحة 188.
25. أحمد مختار عمر. العربية الصحيحة. ط 1. القاهرة : عالم الكتب، 1981. صفحة 54.
26. أحمد مختار عمر. العربية الصحيحة. صفحة 54.
27. عبده الراجحي. العربية الجامعية والكتابة. صفحة 180.
28. محمد شوقي أمين. اللغة العربية بين يدي الدارسين، مؤتمر تطوير تعليم اللغة العربية. الخرطوم : 1976. صفحة 123.
29. أحمد مختار عمر. العربية الصحيحة. صفحة 52.
30. صالح عبد العظيم الشاعر. حماية اللغة العربية في الوطن العربي بين التشريع والتنفيذ. شبكة صوت العربية. 2012/10/13.
./http://www.voiceofarabic.net
31. يوسف الهليس، أهمية الدراسات اللغوية التقابلية، مؤتمر تطوير تعليم اللغة العربية. الخرطوم : 1976. صفحة 441.